لا حفاضات أو حليب صناعي أو أغذية للأطفال: الأمهات الفلسطينيات تكافحن من أجل إبقاء أطفالهن على قيد الحياة

الثلاثاء 18 يونيو 2024 04:15 م

إنها بالكاد الحياة التي تخيلتها إسراء لابنتها الرضيعة عندما علمت بحملها في أواخر مايو من العام الماضي. مثل معظم الأمهات الحوامل، كانت تأمل في شراء بطانيات أطفال ناعمة وملونة لملاكها الصغير رشدي، إلى جانب أشياء أخرى مثل الجوارب وألعاب النمو المبكر.

لكن طوال فترة حملها، كانت إسراء، التي ذكرت اسمها الأول فقط، تتنقل بشكل متكرر، وأجبرت على التخلي عن التسوق لشراء ملابس طفلها والفرار سيرًا على الأقدام بشكل غير مستقر من مخيم إلى آخر، في محاولة لتجنب الغارات الجوية الإسرائيلية والغزو. الجنود الإسرائيليين.

وقالت الأم الشابة لموقع ميدل إيست آي: **"لم أتخيل أبداً أنني سألد طفلي الأول بعيداً عن المنزل ومحاطة بالغارات الجوية".**

وفي خضم ما كان ينبغي أن يكون سبباً للفرح والاحتفال، قالت إسراء إنها أصبحت تفكر في الموت في الغالب.

كان جناح الأطفال حديثي الولادة في جنوب غزة، حيث ولدت، مليئًا بصرخات الأطفال حديثي الولادة، الذين كان الكثير منهم قد ولدوا قبل الأوان، بينما دوت انفجارات من الغارات الجوية الإسرائيلية في مكان قريب، مما أدى إلى اهتزاز أساسات المبنى.

بدت العديد من الأمهات الشابات في مستشفى الإمارات في رفح هزيلات وبلا تعبيرات، حيث حل التعب والخوف والصدمة محل الاحتفالات التي تصاحب عادة ولادة طفل.

وقالت إسراء: **"غارات جوية إسرائيلية استهدفت محيط مستشفى الإمارات أثناء تواجدي داخله للولادة. كان المكان الذي ولدت فيه خاليًا من أي شكل من أشكال الصرف الصحي والنظافة. ومع ذلك، لا يمكنني إلقاء اللوم على المستشفى لأن الضغوط التي يتعرض لها الأطباء والممرضات كانت تفوق قدراتهم".**

"أسوأ أيام حياتي كلها"

ومع معاناة الفلسطينيين من ظروف قاسية على نحو متزايد، أصبحت أبسط الأعمال التي يقوم بها الآباء الجدد، مثل تغيير حفاضات الطفل، شيئ من الترف، حيث تلجأ العديد من الأمهات ومقدمي الرعاية إلى استخدام الحفاضات القماشية.

والآن، بدلاً من العثور على الزجاجات والحليب الصناعي وأغذية الأطفال، فإنهم يحاربون الأمراض والنقص المتزايد في الغذاء والماء.

وأضافت إسراء: **"أعتقد أن الأشهر الخمسة الأولى من حملي ربما كانت كافية لتعويض ما سيأتي لاحقاً".**

وذكرت إسراء أنه بعد وقت قصير من الولادة، اضطرت عائلتها إلى مشاركة غرفة صغيرة مع أكثر من **17** شخصًا، مما أدى إلى إصابة إسراء بفيروس كورونا، والذي انتقل بعد ذلك إلى مولودها الجديد.

وتابعت: **"بدلاً من احتضان طفلي الصغير، اضطررت إلى تركه في الحاضنة، والنظر إليه بعيدًا عن النافذة لمدة أسبوعين تقريبًا. كانت تلك أسوأ أيام حياتي كلها".**

لقد أصبحت عمليات الحمل والولادة الآمنة غير ممكنة على الإطلاق في غزة بسبب القصف الإسرائيلي المتواصل. وفي ديسمبر، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من الصراع، قالت لجنة الإنقاذ الدولية إن هناك ما لا يقل عن **155** ألف أم حامل أو مرضعة في غزة معرضات بشدة لخطر سوء التغذية.

وقالت مها، وهي أم أخرى، لموقع ميدل إيست آي: **"كانت عائلتي تسخر من القول إن كل طفل أنجبه يبدو مرتبطًا بحرب جديدة".**

ولدت طفلتها الأولى كندة خلال الحرب الإسرائيلية على غزة عام **2021.** وقتل نحو **250** فلسطينيا، بينهم عشرات النساء والأطفال، في هذا الصراع.

ومنذ **7** أكتوبر، نزحت مها، التي ذكرت اسمها الأول فقط، من منزلها في حي الشيخ رضوان في مدينة غزة وأجبرت على البحث عن ملجأ لدى أكثر من **50** من أقاربها في مبنى سكني مكتظ.

وذكرت مها، أن المطبخ الذي تقيم فيه، بنافذته الصغيرة المنعزلة، أصبح "الركن الأكثر أماناً" في المنزل، وهو دليل قاتم على عدم اليقين بشأن وضعهم.

وأضافت: **"أمضينا الليالي على الأرض، والخوف المستمر من الضربات الجوية سيطر على المشهد".**

تهديد المجاعة

وعلى الرغم من القصف المتواصل والقصف المدفعي، واجهت مها تهديدًا آخر - المجاعة. ومع غياب الدقيق عن الأسواق وندرة المنتجات الطازجة، كانت تكافح من أجل إطعام نفسها وطفلها الذي لم يولد بعد.

وتابعت مها: **"كنت أعيش على حصص ضئيلة من الخبز والأرز والفاصوليا. ونتيجة لذلك، ولد طفلي بوزن 2.6 كجم فقط".**

ووفقا للأمم المتحدة، فإن الطفل الذي يولد بوزن أقل من **2.5** كجم، بغض النظر عن عمر الحمل، يعتبر طفلًا منخفض الوزن عند الولادة. قبل الولادة مباشرة، قالت مها إنها اضطرت لمواجهة الحاجة الملحة لإجراء عملية قيصرية بسبب وضعها الصحي، في حين أنها تدرك أيضًا أن الدبابات الإسرائيلية كانت على بعد أمتار قليلة من مستشفى الصحابة، المنشأة الوحيدة المجهزة للولادة في شمال غزة.

وقالت مها: **"قد يتم تطويق المستشفى في أي لحظة. التأخير ليوم واحد كان من الممكن أن يكون له عواقب وخيمة. لن أنسى ذلك اليوم أبدًا. عندما دخلت غرفة الجراحة، لم أكن متأكدة مما إذا كنت سأموت بسبب الولادة أو بسبب صاروخ إسرائيلي".**

وبعد أن استيقظت من التخدير، طُلب منها مغادرة المستشفى لأن الأطباء كانوا يخشون أن تحاصر الدبابات الإسرائيلية المستشفى في أي لحظة.

وسط الخوف، ومع مولودها الجديد، كانت مها محظوظة بالوصول إلى سيارة أحد أقاربها، على عكس الآخرين الذين اضطروا إلى اللجوء إلى وسائل النقل البدائية، وخاصة العربات التي تجرها الحيوانات.

لكن التحديات لم تنتهي عند هذا الحد. وبعد أربعة أيام فقط من ولادتها، هددت القوات الإسرائيلية بغزو المكان الذي لجأت إليه مها - حي الدرج. والآن، تواجه هي ومولودها أسامة، الذي سمي على اسم عمه الذي قُتل في غارة جوية إسرائيلية في أكتوبر **2023**، موجة جديدة من النزوح.

وأردفت مها: **"بدلاً من تلقي الرعاية الطبية ومتابعة وضعي الصحي، اضطررت إلى جمع أمتعتي وحمل طفلي الاثنين والبحث عن مأوى في مكان آخر. هذه المرة كانت أصعب، لأنني لم أتحمل آلام الولادة فحسب، بل تحملت أيضاً آلام النزوح".**

https://www.middleeasteye.net/news/war-gaza-no-nappies-formula-or-food-new-mothers-struggle-keep-their-babies-alive